الفصل الأول
الرّسول في شعر معاصريه

كان الشّعر ديوانَ العرب ، وهو على حدّ قول عمر بن الخطاب (رضه) « علم قوم لم يكن لهم علم أعلم منه .» [1] ولا نكاد نعرف أمّةً من الأمم القديمة اهتمّت بالشّعر واحتفلت له كما اهتمّ العرب ؛ ولهذا لم يكن من الغريب أن يوظّف الشّعر في الصّراع الدّائر بين دعوة الإسلام والمُشركين ، سواء في الدّوْر المكيّ أو المدنيّ من الدّعوة . وكان من الطّبيعيّ أن يتضمّن الشّعر المُناصر للإسلام مديحًا للرّسول ﷺ ، ويُعَدُّ هذا المديح هو البَذرة الأولى لفَنّ المدائح النّبويّة الذي قُدّرَ له بعد قرونٍ أن يستقلّ بذاته ، ويُصبح من أكثر موضوعات الشّعر حظا من القبول والذُّيوع .

أبو طالب وشعره في مدح الرّسول

لعلّ أوّل ما نعرفه من الشّعر الذي قيل في الرّسول ﷺ في الدّور المكيّ من حياته ، هو الشّعر المنسوب إلى أبي طالب عمّ الرّسول وكافِلِه بعد وفاة جدّه عبد المطلب . ويقول ابن سلام إن أبا طالب كان « شاعرًا جَيِّد الكلام » ويعدُّه من أبرع شعراء مكة [2] . غير أن معظم الشّعر المنسوب إليه ورد في سيرة ابن إسحاق (المتوفّى سنة ١٥٠ هـ) وهو الذي يصفه ابن سلام بأنه « كان ممن أفسد الشّعر وهَجّنَه ، وحمل كُلّ غُثاءٍ منه .. وكان من علماء النّاس بالسِّيَر... وكان أكثر علمه بالمغازي والسِّير وغير ذلك ، فقبل النّاس عنه الأشعار ، وكان

(١) العُمْدَة لابن رَشيق القَيْروانيّ ، ج ١ ، ص ٢٧ .

(٢) طبقات فحول الشعراء ، السِّفْر الأول ص ٢٣٣ ، ٢٤٤ .